



This work is licensed under a [Creative Commons Attribution 4.0 International License](https://creativecommons.org/licenses/by/4.0/)



RAHAT-UL-QULOOB

Bi-Annual, Trilingual (Arabic, English, Urdu) ISSN: (P) 2025-5021. (E) 2521-2869
Project of RAHATULQULOOB RESEARCH ACADEMY,
Jamiat road, Khiljiabad, near Pak-Turk School, link Spini road, Quetta, Pakistan.
Website: www.rahatulquloob.com

Approved by Higher Education Commission Pakistan

Indexing: » Australian Islamic Library, IRI (AIOU), Tahqeeqat, Asian Research Index, Crossref, Euro pub, MIAR, ISI, SIS.

TOPIC

معالم الحضارة الإسلامية في ضوء السيرة النبوية
The Characteristics of Islamic Civilization
in the light of Prophetic Seerah

AUTHOR

1. Prof. Dr. Muhammad Khalid Fowad Abdul Munim, Professor, Al-Azhar University, Cairo, Egypt. Email: foadkhalid04@gmail.com
2. Prof. Dr. Ikram ul Haq Al-azhari, DEAN, Al-Hamd Islamic University, Islamabad, Pakistan. Email: drikramulhaq@gmail.com

How to Cite: Dr. Muhammad Khalid Fowad Abdul Munim, & Dr. Ikram ul Haq Al-Azhari. (2024). ARABIC: معالم الحضارة الإسلامية في ضوء السيرة النبوية: The Characteristics of Islamic Civilization in the light of Prophetic Seerah. *Rahat-Ul-Quloob*, 8(1), 01-17. Retrieved from <https://rahatulquloob.com/index.php/rahata/article/view/458>

URL: <http://rahatulquloob.com/index.php/rahata/article/view/458>

Vol. 8, No.1 || January–June 2024 || ARBIC-Page. 01-17

Published online: 09-01-2024

معالم الحضارة الإسلامية في ضوء السيرة النبوية

**The Characteristics of Islamic Civilization
in the light of Prophetic Seerah**أكرام الحق الازهرى²محمد خالد فؤاد عبد المنعم¹**ABSTRACT:**

The foundations of Islamic civilizations are laid on the motives of learning and spreading knowledge; knowledge which may help know God and discern truth from falsehood. The first ever revelation calls to read even before calling towards the belief in oneness of God. The knowledge helps humanity understand its worth and identify true relationship with its creator thus emancipates mankind from all kinds of slavery. Surrendering to only Allah SWT and obeying Him by all means is the nucleus of Islamic civilization and it releases mankind from submitting to any physical object or people of authority. Along with submitting to Allah SWT, Islamic civilization lays emphasis upon fulfilling the rights of fellow human beings. This consciousness of fulfilling the rights of God and fellow humans is not a result of societal bindings and constitutional compulsion rather it stems from the goodness of heart and purity of intention. The Holy Prophet PBUH delineated the basic features of Islamic civilization by propagating the ethics of human heartedness, love and patience. Forgiving the worst enemies while being in control, keeping the ties of blood relations intact despite the conflicts and letting people practice freedom of belief and opinion are few of the moral values which characterize a true Islamic society laid on the footsteps of the Holy Prophet PBUH. Like any developed counterpart, Islamic civilization establishes a state based upon safeguarding the basic human rights and protecting its minorities as well as providing every citizen with the rights to justice and equity. It sets the rules of war and not only prohibits killings of children, women and non-fighting public during the wars but also protects the trees and places of worship in the lands of enemy. This paper is an attempt to sort out the basic characteristics of Islamic civilization as exhibited in the seerah of our beloved Prophet PBUH.

Keywords: Islamic Civilization, Seerah of Prophet PBUH, Human rights, Islamic state

الذين تكلموا عن الحضارة نظروا إليها نظرة مادية خالصة وبعد أن مروا بالتجارب في الغرب وجدناهم يعرفونه الحضارة بتعريفات مخيفة تبين حقيقة رؤيتهم لمفهوم الحضارة.. يقول الأشهر من كتاب الحضارة ول ديورانت الأمريكي¹:
"أن الحضارة نظام اجتماعي يعين الإنسان على الزيادة من انتاجه الثقافى...".

وحتى لا نطيل البحث في ذلك فإن فريق عريض عرف الحضارة بتعريفات ناقصة بعضهم يراها مرحلة تقدم في الوسائل الحديثة للإنسان ، وبعضهم يراها ما بلغه الإنسان من عمران وإنشاءات ، وبعضهم يزيد من رؤيته فيراها ما ضمت الرقعة الجغرافية ... والتعريفات كثيرة ... يجتار في تحديدها الإنسان ، كلها نابعة من بيئة المؤرخ ورؤيته لمناخه

ولرؤيته للتاريخ وللمتجمعات...² ولا شك أن التعمق في الماديات ولا رتكار. للقوة أغرى العديد من الناس للتفسيرات المادية...، وقد يطرح ذلك سؤالا: هل لو اتمهات هذه الماديات، ينهار معها الإنسان؟ أمر سيواصل بقاءه؟
أما ابن خلدون (ت 808هـ/1406م) فقد مزج في شرحه للحضارة الإسلامية بعيد المادية والروحانية، فنحن المسلمين لدينا حضارة منوطة بالحياة الدنيا والآخرة معاً.

وليس ذلك كلام لا دليل عليه، بل إن أركان الدين الإسلامي جامعة لكل معاني قيام الحضارة.. وجدير بالذكر أن حضارة المسلمين مرهونة دوماً بعمق الإيمان وصلابة العقيدة³
وتأق مفاهم تفسير الحضارة في هيتين.. الباحثون ينقسمون في مدلول الحضارة إلى فريقين.. فريق يرى الحضارة تعنى مجموعة المظاهر الفكرية والمادية في المجتمع، وفريق يرى الحضارة تعنى مجموعة المظاهر الفكرية فحسب في المجتمع.
لكننا بما جاءت به الحضارة فأها تعنى إسلاميا الرق المادى والروحى والإنسان حين يبني لا يمكن أن يبني (في ظل الإسلام) على انقاض قيم أو ضياء آخرين.. لقد أمرنا الله عزوجل بالعمران. قال تعالى: "هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا"⁴. إنه طلب العمران والبناء والتشيد في الأرض... قانون عمران الأرض في الأصل هو عبادة يغفل الكثير عنها.. وتصل الأوامر الدينية في هذا.. ألا يفسد الإنسان في الأرض "وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ"⁵، "وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ"⁶ وقال أيضاً: "وَلَا تَعْفُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ"⁷، وقال أيضاً "وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا"⁸.

ثم جاءت التشريعات لتضع أشد العقوبة على المفسدين قال تعالى: "إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِّنْ خِلَافٍ أَوْ يُنْفَوْا مِنَ الْأَرْضِ ذَلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ"⁹.

إن جريمة الإفساد في الأرض لا غفران لها، وعقوبتها لاهوادة فيها. وهذه درجة الحضارة التي يبلغها المسلمون.. العمران البشرى الراق الخالى من الفساد وفروعه.

وفي سيرة النبي صلى الله عليه وآله وسلم التوكيد على صيانة الحياة من روائح الفساد وأساليبه من الغدر والخسة. يروى أنس بن مالك.. قال: "سألني الحجاج، قال: أخبرني عن أشد عقوبة عاقب بها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال قلت: "أرأيت ناساً من عكلى وعزينة قديموا الصديئة على النبي صلى الله عليه وسلم وتكلموا بالإسلام، فقالوا: يا نبي الله، إننا كنا أهل صرع، وكلم نكن أهل ريف. واستؤخمو الصديئة، فأمر لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بدؤد ورا، وأمرهم أن يجرجوا فيه فيشربوا من ألباها وأبوالها، فانطلقوا، حتى إذا كانوا ناحية الحرة، كفروا بعد إسلامهم، وقتلوا راعي النبي صلى الله عليه وسلم. واستأفوا الذود، فبلغ النبي صلى الله عليه وسلم، فبعث الطلب في آثارهم، فأمر بهم، فسروا أعينهم، وقطعوا أيديهم، وتركوا في ناحية الحرة حتى ماتوا على حالهم"¹⁰.

إن القضاء على المفسدين والفسادة غاية إسلامية لقيام الحضارة على النظافة، وانظر إلى أي مدى ارتكب هؤلاء جريمتهم

.. لقد أكرمهم الرسول صلى الله عليه وآله وسلم حتى عادت الدماء إلى وجوههم ، وردت إليهم صحتهم ... أيكون الجزاء على هذا هو قتل الراعي الذي سمح لهم بأمر الرسول أن يشربوا الألبان ويشفوا من علتهم؟ ثم يسرقون الإبل ويهربون!! إن جرائم كثيرة يرتكب من هذا النوع ولا تجد العقوبة التي تناسبهم.

الضابط الأخلاقي في الحضارة

أمرنا الله عزوجل بعماران الأرض كما بينت الآيات الكريمات . لكن هذا العماران لا يكون على حساب الناس ، ولا تختصب أموالهم من أجل بناء شيء ، إلا أن يصدقوا من تلقاء أنفسهم .. وفي السيرة النبوية ما دل على ذلك .. فحينما هاجر النبي صلى الله عليه وآله وسلم إلى المدينة ، كان أول ما قام به هو بناء مسجد وذلك لتظهر شعائر الإسلام التي طالما حاربوها ومنحوها ، ولتقام الصلوات التي تربط المرء برب العالمين وتنقي القلب من أدران الأرض وأدناس الحياة الدنيا¹¹ .

حينما دخل النبي صلى الله عليه وآله وسلم المدينة أراد أن يبني المسجد ، وبركت الناقة في أرض مخصصة لتجفيف التمر ملك غلامين يتيمن فعرض عليهما شراء الأرض ، فقالا: بل نهبها لك يا رسول الله . فأبى النبي صلى الله أن يقبلها هبة ، وبالفعل اشترى الأرض وبني المسجد عليها¹² .

وهذه الواقعة من سيرة النبي صلى الله عليه وآله وسلم تبين أمراً في غاية الأهمية فهو بني المسجد ليؤدى دوره الحضارى ، والمسجد ليس مكاناً للصلاة لحسب بل كان ساحة قضاء ومقر المعاهدات ، ومنبع الوعظ وفض المنازعات ، وغير ذلك . وراية الدولة الأولى.

ولكن هذا العمل الحضارى لا بد أن يكون من مال حلال . ولا يكون من أرض مختصة ، ولا مسروقة ولا مأخوذة من أحد بسيف الحياء والإجبار الملون بلون الأدب... لقد أخذ الغلامان في هذه الأرض ما لكثيراً أكثر من حقهما . وبالرغم من أن الارض كانت مكان لتجفيف التمر ، يعنى لا يسكنها أحد إلا أنها تحولت إلى جامعة تطلق منها أعظم حضارة . إن كثيراً من الحضارات كانت تختصب الأرض من الناس غصباً ولا تبالى بما يترتب على ذلك ، لكن حضارة الإسلام بنيت على فعل الحرام وترك الحرام.... وعمار الكون ملحوظ في السيرة والسنة النبوية .. العمار الذي يبلغ مداه ومنتهاه ، فلا يغفل المسلم عن البناء والعمل حتى ولو كانت الساعة يقول صلى الله عليه وآله وسلم: "إن قامت الساعة وفي يد أحدكم فسيلة (مخلة صغيرة) فإن استطاع أن لا تقوم حتى يغرسها فليغرسها"¹³ .

حضارة تبنى ولا تهدم ، تعمرو ولا تخرب. ترى الحق حقاً فتتبعه ، وقد حفز الإسلام أبناءه على أن هذا الغرس

له ثواب عظيم "ما من مسلم يغرس غرساً ، أو يزرع زرعاً ، أو يأكُل منه طيرٌ أو إنسانٌ أو بهيمةٌ إلا كان له به صدقة"¹⁴ .

بدايات الإسلام

من الأهمية بمكان أن نعرف بدايات الإسلام وتأثيرها على تكوين عقيدة وثقافة المسلم في ظل الحضارة الإسلامية ... حين التقى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بجبريل عليه السلام يستقبل أول أمر في الإسلام كان "اقرأ باسم ربك الذي

خَلَقَ / خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ / اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ / الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ / عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ¹⁵. هذا اللقاء الذي أوعى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، ولا ينساه أبدا¹⁶. ونلاحظ ما يلي:

- 1 حاله من التأمل والتفكير من الإنسان لاحتمية تصفية الذهن.
 - 2 أمر إلهي بالقراءة الواعية. القراءة التي تبني الإنسان.
 - 3 الكتابة الضرورية التي تنتج بعد عملية القراءة الواعية فلا يكتب إنسان زاد ثقافيا إلا بعد القراءة الراشدة.
 - 4 العلم المقروء والمكتوب له فروع... .
- أ الاعتراف والإيمان بالله الخالق (التوحيد) الخالص.
- ب الدراية العلمية بحقيقة خلق الإنسان من دم جامد معلق في جدار الرحم من جراء نطفة.
- ت ثم ذكر أنه الأكرم الذي يزيد بالمن على من قرأ وكتب وسلك طريقا يلتمس فيه العلم.
- ث كرر الله لفظ القراءة... كلما قرأ الإنسان وهو مقر بوحداية الله. كلما ازداد معرفة (أمر الحضارة) وقربا من الله عز وجل (بالعبادة)

إن حضارة الإسلام بدأت بالمعرفة والوحداية. ارتبط العلم بفرعيه العلمي والتطبيقي والديني والمدني، جميعاً والمادي والروحي معا. وهذه الحضارة ارتبطت بالقرآن والوحي وليس منقولة من جهة أخرى¹⁷.

حضارة إسلامية مستقلة بعيدة عن تأثير الآخرين... وقد يقول قائل إن القرآن هو من أملى على المسلمين فروع الحضارة بالإملاء المباشر الطالب للفعل.. إلا أن الإسلام طلب التفكير والتفكير قال تعالى: "إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ / الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا مُّجْتَاكًا فَفَنَّا عَذَابَ النَّارِ"¹⁸. طلب مباشر بالتفكير في خلق السماوات وما يتبعها من علوم.. ولهذا قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم: "ويل لمن قرأها ولم يتفكر فيها"¹⁹.

وأول دعائر الحضارة كما بينا هو العلم والتفكير والتعليم نفسه فلا بد من منهج تعليمي أولى يبدأ به المسلم حياته.. وفي السيرة النبوية بعد انتهاء غزوة بدر ووقع أسرى قريش في أيدي المسلمين كان الحوار العفو عن أسرى الكفر مقابل الأموال التي استولوا عليها من المسلمين. إلا أن النبي عليه الصلاة والسلام أشار إلى مسألة تفوق المال... طلب من كل أسير أن يعلم عشرة من المسلمين يعلمهم القراءة والكتاب وربما الحساب²⁰ وانطلق الأسرى يعلمون أولاد الأنصار الكتابة، وشرعوا يعلمون غلمان المدينة بدل الفداء بالرغم من أن المسلمين كانوا في أشد الحاجة إلى المال مكان العلم، وإزالة الأمية أعظم في حضارة المسلمين من المال²¹.

وهذا الموقف من السيرة يسترعي الانتباه، ويجلب المقارنة بين النظرة المادية للحضارات السابقة وبين نظرة حضارة

الإسلام، الأمر الذي ينفى سعي المسلمين لفتح الدول من أجل الغراء وجمع الأموال.

واستمرت حضارة الإسلام تسير على هذا المنوال. العلم لهداية البشرية وأصبح " طلب العلم فريضة على كل مسلم²² من حيث الحكم ومن حيث الجزاء .. وإنك طالب العلم يستغفر له من في السماء والأرض ، حتى الحيتان في البحر²³ وجعل "ما من خارج من بيته في طلب العلم إلا وضعت له الملائكة اجنحتها رضا بما يصنع"²⁴. إنها حضارة تحترم العلم وتدعو إليه.

الفطرة الإنسانية والحضارة

تبين السيرة النبوية شخصية النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، فبعد رؤيته ولقائه مع جبريل عليه السلام عاد إلى السيدة خديجة رضى الله عنها في البيت وهو مزعور مضطرب وقص عليها ما حدث ، فردت عليه قائلة: " كلاً أبشر فوالله لا يخزيك الله أبدا والله إنك لتصل الرحم وتصدق الحديث وتحمل الكل وتكسب المعدوم وتقري الضيف وتعين على نوائب الحق"²⁵. وهذا الحديث كشف عن شخصية النبي قبل الدعوة .. صفات راقية لمن يصنع حضارة مستقلة.

فحين قال لها لقد خشيت على نفسي ردت عليه فوراً .. إن الإنسان الذى يعمل المعروف باستمرار تتكون فطرته على ذلك .. لذا قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: " صنائع المعروف تقي مصارع السوء والآفات والهلكات ..."²⁶ فالنبي تحلى بصفات تسمى الآن - الصفات الإنسانية - فقد كان يصل الرحم ولا يكذب ، ويقرى الضيف ويكرمه ، ومن كان في نكبة وقف معه ... هذه صفات صاحب الرسالة .. في الوقت الذي تجد أصحاب حركات الإصلاح والنهضة في الغرب يدعون إلى سفك الدماء وربما أنكروا الألهية مثل ماركس²⁷ وربما بنو أسس أفكارهم على تقيق مآربهم بأقذر الوسائل مثل ميكافلي²⁸.

إن الجرائم التي ارتكبتها مصلحوا الحضارة الأوروبية الصليبية اعتمدت على الدماء والضحايا ولعل ما بذله نابليون بونابرت 1769 - 1821 م من سيل الدماء في أثناء الثورة الفرنسية 1778 م وما بعدها يعتبر نموذج القائد المجرم الذي بنى على دماء الآخرين ، والغريب أنهم يعتبرونه بطلا قوميا حيث دفنوه في كاتدرائية سان لويس دي إنفاليد مما يدل على أنه خدم المسيحية من وجهة نظرهم²⁹.

لكن في شخصية النبي صلى الله عليه وآله وسلم صفات حضارية تقام على أساسها الدول وتنهار بدورها .. إن انتشار المخادع والكذب من قواد الدول يدعو إلى سقوطها فوراً. لقد قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم لقومه: "إن الرائد لا يكذب أهله ..."³⁰. فهو دعا قومه ليخبرهم بأمر الدين، ويبلغهم بما أرسله الله إليهم وأمر بتبليغهم.

وهذا الموقف الحضارى يحتم على ملوك وحكام الدول ألا يكذب مهما كانت الظروف والحواف .. "إن الرائد لا يكذب أهله ..."³⁰ والذين يكتبون التاريخ يرون كيف يكذب المسؤولون ليل نهار وتشوه بينهم الحقائق بسبب ما يتقدم كلام من كذب .. إن لم يكن باللسان مباشر ، فيكون بالوجه الحادع.

لكن النبي صلى الله عليه وآله وسلم حين جاءته الرسالة صعد ليجمع قومه وهم على الشرك ويبدأ دعوته بقاعدة تدوم أبدأ الحياة. قاعدة تمنع لصوص الحكم من سرقة الأمر بأكملها - فعلاً - ثم يبدأ الكذب والخداع - قول - وهكذا دواليك ..

قارن ذلك بخطب وأحاديث القيادات وكيف خدع رجل مثل بوش وزعم أن حربه صليبية ضد المسلمين في العراق.. وكيف خدع ترامب شعبه بمجملته أكاذيب... ونماذج الكذب كثيرة.. إن الحضارة الرومانية أو الفارسية شهدت أنواعاً من الحكام أساءوا ولم يحسنوا التصرف وكرسوا حياتهم بأكذوبة الحق الإلهي في التحكم الظالم في عباد الله.

تاريخ الحكام والحضارة الإسلامية

أشرنا إلى طهارة ماضي الحاكم والبحث في سيرته الأولى... فلا مسوء لمن ينزل بالمظلات كي يحكم دولة من الدول دون الكشف عن ماضيه الأول.. والنبي صلى الله عليه وآله وسلم كان معروفاً قبل الإسلام بالصادق الأمين...

وأسهل ما يكشف الإنسان معاملاته المالية... والنبي الكريم حين تاجر بمال السيدة خديجة رضي الله عنها سافر معه في رحلاته التجارية خادمها ميسرة الأريب الراشد، وشهد بنفسه على أمانة الرسول في البيع والشراء.. ورأت السيدة خديجة البركة في تجارتها وما حل بها من ربح حلال³¹. فأمر ما يطمئن المرأة على حياتها ومالها هو الأمانة لذلك ارتأت الأمان في حياتها بصحبة النبي ﷺ مدى الحياة فكان زوجها إلى أن لقيت وجه ربها³².

هذا المستوى الفردي من وجهة نظر امرأة.. لكن شهادة السيدة خديجة قبل الزواج لم تتغير بعد الزواج مما يدل على أن نبيل سلوكه وروعة أخلاقه لم تتغير. فالطباء كما هي بفطرة الله التي خلق رسوله عليها، صلى الله عليه وآله وسلم.

يقول الإمام محمد الغزالي "وخديجة رضي الله عنها مثل طيب للمرأة التي تكمل حياة الرجل العظيم، إن أصحاب الرسالات يحملونه قلباً شديدة الحساسية، ويلقون غيباً بالغاً من الواقع الذي يريدون تغييره ويقاسونه جهداً كبيراً في سبيل الخير الذي يريدونه فرضه، وهم أحوج ما يكونون إلى من يتعهد حياتهم الخاصة بالإنسان والترفية. وكانت خديجة سبابة إلى هذه الخصال، وكان لها في حياة محمد صلى الله عليه وآله وسلم أثر كبير"³³. فحتى الماضي الخاص للنبي ﷺ يبين إلى أي مدى تكون سيرة القائد الذي يحمل الرسالات النبيلة والإصلاح الخالص للحق المطلق.. ومن هنا كانت القواعد الحاكمة لعلم أصول الفقه دالة على القياس السليم.. فرأى ابن تيمية (مثلاً) أن الحاكم الفاسق العادل أولى بالحكم من الحاكم المسلم الظالم معللاً أن فسق الأول عليه، وعدله لصالح رعيته، والثاني إسلامه لنفسه وظلمه على رعيته³⁴.

وقد اعترض البعض على كلام الاستاذ المودودي (1321هـ/1290م/1299هـ/1979م) من حيث تصوره لمفهوم الشورى الإسلامية.. فقال الغزالي رداً على ذلك "...رحم الله المودودي وأجزل مثوبته، ما أظنني اختلف معه في شيء طائل، لكن الملابس التي أحاطت بالرجل جعلت أحكامه ما تُفهم إلا في ضوء هذه الملابس. لقد أيد ترشيح أخت محمد على جناح لتحكم باكستان، وفي ذلك ما فيه (من اعتراضات)، وعندى أنه أفضل أن تحكم باكستان امرأة من نوع (أنديرا غاندي 1984/1917م) عن أن تحكمها عساكر من طراز يحيى خان (1980/1917م) الذي ما كان يفيق من سكر...". إن أنديرا غاندي على إجرامها ضد المسلمين استغللت خيبة الحكام العسكرية لباكستان الذين وصل يحيى خان بهم إلى الحكم، واستطاعت أن تلحق هزيمة فاحشة بالفيلد مرشال يحيى خان. فالحقت بالمسلمين هزيمة وشطرهم إلى النصف.. وهكذا

عملت (جولد مائين) حاکمة اليهود في العرب المسلمين وهزمتهم في 1967م³⁵. فلماذا لا نحسن اختيار الحكام أصحاب الماضي النظيف؟ لماذا يقبل المسلمون هذا النوع من الحكام الذي لا يحسن رعاية وطنه ولا يصون الإسلام. وكثير من قيادات أوروبا عرفهم التاريخ بماضيهم الملوث واعتبر ذلك من الحرية الشخصية. لكنهم أقاموا المؤسسات التي تحكم بالعدل وتركوا شأن الحكام وسيرتهم كي تبقى العدالة.

الجانب الحضاري في بناء الأفراد

اعتمدت كثير من الحضارات على تربية الأتباع بالشدة والعنف وتكوين المؤسسة الكبرى في الدولة لا بد وأن يُبنى على المحبة والترابط.. وهناك قديماً في التاريخ دول تجمعت من الحديد والنار مثل ألمانيا، فقد وحدها بسمارك ت 1898 م بالقوة والقهر وقال "المشاكل المهمة لا تحل بالخطب.. بل بالدم ولا حديد"³⁶. وكذلك كثير من ملوك وحكام أوروبا الذين وحدوا الألمان والطلاب وما حدث في الثورة الفرنسية والانجليزية وما ترتب على انفصال النمسا وألمانيا، واسكتلندا وانجلترا.. كانت دماء وضحايا لا تُعد ولا تُحصى.. والإشكالية تكوّن في الأتباع، فالقائد بيده أن يدعم الإنسانية ويجمع أتباعه المؤمنين بفكرته وأهدافه على مبادئ دائمة، بدلاً من دماء ملوثة...

وقديماً حكم فرعون ونائبه هامان وجنودهما بالقوة والقهر، والظلم فضلاً عن الشرك والبعد عن الله. لذلك قال عنهم القرآن: **إِنَّكَ فِرْعَوْنٌ وَمَهَا مَاءٌ وَجُنُودُهُمْ كَانُوا خَاطِبِينَ**³⁷. إن تكوين جمع الأفراد على الحب والقناعة بالبداً والغاية، يختلف تماماً عن تكوين الأفراد في مناخ الاستبداد والظلم. الفريق الأول تم زمه في القرآن كما بينا، والأفراد الذين كونهم النبي صلى الله عليه وآله وسلم تم مدحهم في القرآن. قال تعالى: **"وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنْفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعاً مَا أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ"**³⁸. وحين بدأ النبي صلى الله عليه وآله وسلم طريقة الدعوة واستقبل من أجلها المحن والشدائد.. بدأ في اختيار الرجال الذين بدأوا أول حضارة في الإسلام فالتقى بأب بكر وعرض عليه الإسلام فوجد أبابكر طبعاً مستجيباً لذلك، قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في حق أبي بكر رضي الله عنه: **"ما دعوت أحداً إلى الإسلام، إلا كانت عنده كبوة، وتردد ونظر، إلا أبابكر ما عكر حين دعوته، ولا تردد فيه"**³⁹. وعرف عنه أنه كان رجلاً مألماً لقومه محبباً سهلاً، عمل بالتجارة، ورجال قومه يأتونه ويألفونه، لغير واحد من الأمر لعلمه وتجارته وحسن مجالسته⁴⁰. وهذا الرجل العظيم قد أدخل عثمان بن عفان، وعبد الرحمن بن عوف وسعد بن أبي وقاص والزبير بن العوام وطلحة بن عبيد الله، وهؤلاء كان بعضهم ما بين الثالثة عشرة من عمره إلى الرابعة والثلاثين⁴¹ وغيرهم ممن تحرروا (وكانوا عبيداً) على يديه رضي الله عنه.. وحين تم تحرير بلال بن رباح من العبودية وساد الحق والواجب بينهما جميعاً وانطلق للإيمان قال الصحابة عن واقعة تحرير بلال بن رباح "سيدنا أعتق سيدنا"⁴².

الحسن الأمي جزء حضاري

بعد أن صدع النبي صلى الله عليه وآله وسلم بما يؤمر من شؤون الدعوة كان يلتقي بالصحابة الأوائل في دار الأرقم

بن أبي الأرقم. وكان الأرقم صغير السن حدثاً في العمر⁴³ والسرية جزء هام من حفظ الأمن حتى عن أقرب الأقربين.. ولا مجال هنا للحديث عن القرب أو البعد، فكثير من أفراد العائلة لديهم ثروة غير منضبطة وكثير من مشكلات الحياة تتصاعد من جراء عبث نقل الكلام. ولولا الرؤية الحضارية التي تتصف بها شخصية النبي صلى الله عليه وآله وسلم لضاعت الجماعة الأولى وختم على الإسلام للنهائية بعدها. ونلاحظ أن أي نطاق للعمل الجماعي يستلزم السرية وهذا ما كان من أمر النبي صلى الله عليه وآله وسلم. إن دار الأرقم لم تكن فقط المكان الذي يلتقي فيه النبي صلى الله عليه وآله وسلم بأصحابه، لكنه المؤسسة التعليمية الأولى التي خرجت الرجال الأوائل الذين تعلموا على يد نبيهم صلى الله عليه وآله وسلم وفي هذا قمة التحضر..

أولاً: الحفاظ على أول مؤسسة تعليمية خرجت الرجال.

ثانياً: الالتزام بالسرية التامة حفاظاً عليها، وعلى من يدخلونها للتربية والتعليم.

ثالثاً: التربية والتعليم هما قوام أي مهضة تربوية، والتربية تحتاج لسرية - مثلما - تربى أطفالك في البيت على

المبادئ والقيم لكن لا تربيهم على رؤس الأشهاد فيراهم الجميع على معايبهم.

الفكر المستنبط حضارياً

التفكير الحضاري في اختيار دار الأرقم يستلزم منا فهم الآتي:

- 1: أن الأرقم لم يكن معروفاً بإسلامه، ولم يكن من المتوقع أن يلتقى بمحمد عليه الصلاة والسلام.
- 2: أن ابن الأرقم من بني مخزوم، وهي قبيلة ناصبت العداء الشديد لبني هاشم. ولا يتصور أحد أنه على علاقة بالأرقم.
- 3: يوم أن تفكر قریش في اتباع محمد والبحث عن أصحابه معه فلن تجد توقعاً أن يكون في دار الأرقم فهو فتى في السادسة عشرة من عمره.

والذين نريد أن نشير إليه أن الإسلام يطالب بصيانة الفكرة الجيدة وحمايتها ويطلب بحماية الأفراد وصيانتهم من الدماء.. فالغباء والاستهتار والتغافل لا علاقة لهم بالحضارة. ولا بد من تأمين حياة الناس وعلى قدر ما يكون التأمين على قدر ما تكون خطوات الفهم⁴⁴.

العقيدة وسنة التغيير

حرص النبي صلى الله عليه وآله وسلم على ربط العقيدة بالتغيرات وهي جزء لا يتجزأ من عقيدة التوحيد. يقول جل شانه " لَهُ مُعْجَبَاتٌ مِّن بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِقَوْمٍ سُوءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُ وَمَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَالٍ"⁴⁵. وهنا لا بد من إيضاح أمر مهم... إن الله قريب من العباد، لكنه لا يغير وضعتاً تحياه أمة تعيش في المذلة والتخلف وتقبل الدنية في الدين والدنيا. هذا التغيير كان يمكن أن يُقال أنه يتحقق بدعوة من النبي ﷺ رافعاً يده مبتهلاً إلى الله.

لكن النبي صلى الله عليه وسلم قال التغيير الحضاري بتغيير النفس البشرية. تحويل أفرادها من الظلمات إلى النور، من

قوم يقبلون المهانة والمذلة إلى فئات تعتز بالكرامة والمهابة⁴⁶.

والتغيير الحضارى يوضح بعض الأمور... أن الفترة المكية قد شهدت تغيراً في نفوس الذين دخلوا الإسلام ثم تعرضوا لأنواع من المحن في كل الفترات... فهناك فترة تعرضوا فيها للملاحقة والمتابعة وربما وصلت لدرجة القتل، وهذه الملاحقة جعلت أهل الكفر ينالون من أسرة ياسر وبنالوهم بالتعذيب حتى الموت⁴⁷ ولجأ النبي هنا إلى التدريب على الصبر والتحمل ولا بدأياً من الإختبار.

بين الرخصة والعزيمة

من الأهمية بمكان معرفة الرخصة والعزيمة في الإسلام وليس هنا المقصود بأمثلة الفقه.. الصيام أو الفطر في السفر كسبيل المثال... لا، الموضوع يطرح بين جملة من التوازنات ترجح ما فيه التقوى والمصلحة... وهذا تغيير حضارى له ما بعده.. مثال.. حين أخذ المشركون عمار بن ياسر للتعذيب والتنكيل لم يتركوه حتى سب النبي صلى الله عليه وآله وسلم وذكر آلهتهم بخير ثم تركوه. فلما أتى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: "ما وراءك؟ قال: شرباً رسول الله ما تركت حتى نلت منك وذكرت آلهتهم بخير قال: كيف تجد قلبك؟ قال مطمئناً بالإيمان. قال: إن عادوا فعد"⁴⁸

إن الدين لدينا ليس متمات لفظية ولا حفلة رقص يقيمها دجال أو نصاب يلتف حوله الراقصون. ولا الدين لدينا كلام خال من واقعه.. إن الدين ما وقر في القلب وسكن واستقر... أما واقعة عمار بن ياسر فنزل فيها قوله تعالى: "مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِهِ إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ وَلَكِنْ مَنْ شَرَحَ بِالْكُفْرِ صُدْرًا فَعَلَيْهِمْ عَذَابٌ مِنَ اللَّهِ وَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ"⁴⁹.

وهنا نفهم أن الرخصة الشرعية (وهو نوع من الفهم الحضارى) هي فيه توقيت استخدام الرخصة.. متى نأخذ بها في التغيير الحضارى ولا نصر بالعقيدة؟ متى نعمل بها ولا تذلل المسلم؟ متى تمر علينا ولا تنقص من الإيمان. ومن هذا المنطلق أخذت الرخصة في الأحكام الفقهية.

الهجرة للحبشة

الحضارة هنا تتأصل في البحث عن مفهوم العدالة. دون النظر إلى العقيدة فالعدل طاقه نفسية تملأ قلوب أصحاب الفطرة النقية حتى وإن تأخر وصولهم إلى الإيمان.

وفي سيره النبي صلى الله عليه وسلم أنه أمر الصحابة (رضوان الله عليهم أجمعين) الذين لهم طاقة وقد لا يجسنون في ظل أجواء الظلم المجتمعي أن ينتقلوا إلى بلد آخر إن القضية الآن هي ضمان العدل، العدل في أي مكان على الأرض لذلك كان قول الرسول صلى الله عليه وآله وسلم "إِنَّ بِلَادَ الْحَبَشَةِ مِلْكٌ لَا يُظَلَمُ أَحَدٌ عِنْدَهُ فَاحْتَفُوا بِبِلَادِهِ حَتَّى يَجْعَلَ اللَّهُ لَكُمْ فَرَجًا وَمَخْرَجًا وَمَا أَنْتُمْ فِيهِ"⁵⁰.

إن الإسلام حر يسعى للحريه ولا ينطلق إلا في الحريه. وقضية الإسلام في بواكير ظهوره تحتاج لعدالة. والعدالة في تلك الأرض الحبشة آنذاك.. الأمر الآخر وهو بيان قيمة الحضارة مع الآخرين.. أن الحبشة كان على رأسها النجاشي

النصراني... ومع هذا النبي ﷺ نظر إلى نفسه وحبه للعدل - الغاية المشتركة - ولم ينظر لعقيدته. ونحن المسلمون نتعامل مع كل مخالف لنا في الدين بشرط أن يكون من عشاق العدالة عاملاً بها. وهنا يظهر لنا:

- 1 حرص النبي صلى الله عليه وآله وسلم على سلامة الذين دخلوا الإسلام فلا يأتون النبي صلى الله عليه وآله وسلم ويمنون عليه ولا يقولوا له "أوذينا من قبل أن تأتينا ومن بعد ما جئتنا..."
- 2 أن الحرية تخلق الابداء والانتاج بكل أنواعه. وفي ظل غير الحرية تقتل كل المواهب.
- 3 الدين الإسلامي مع الحق والعدل حتى ولو كانت القوائم عليه غير مسلمين.

ويُعتبر السفر والهجرة التي قام بها أتباع النبي صلى الله عليه وآله وسلم هي الهجرة التي بينت إلى أي مدى احترام النبي المبدأ وإن كان من غير مسلم. العدل المطلق الذي يظهر للعدالة قدسيتها وذلك دون النظر إلى اللون أو العقيدة أو الجنس (الوطن). صحيح أن النجاشي قد أسلم وربما أسلم على يده البعض وربما شق الإسلام إلى الحبشة طريقاً لكننا لا نقيم دخول الإسلام بقدر ما نبين كيف يكون الاحترام بين الشعوب والدول احتراماً للعدل⁵¹.

الموقف الحضاري التالي فهم أن الحكم جزء من نظام الإسلام كله بشموليته، فالحاكم العادل يحمي الدين بعدله. كذلك من واجبات المسلم ألا يعيش في غيبوبة عن الدنيا لا يدرى ماذا يحدث حول العالم، فالمسلم الذي يتحدث اضطهادات للمسلمين من حوله ولا يدرى دخل في شريحة تضر بعقيدته.

وترتقى الحضارة في التعامل الإنساني حين يتنوع أمر الجهاد الدبلوماسي خارج نطاق الوطن.. جهاد في شكل حوار.. هجرة إنسانية تحمل لدى المنغلقيين الجامدين كيف تحمل عبء الدعوة عشرة رجال وأربع نسوة. فإن للمرأة كيان حضاري آمن به الإسلام والمسلمون. منذ بدء الدعوة وبينت الوجهة الحضارية أسس الحوار في الإسلام سواء مع المخالفين أو مع الملوك والرؤساء⁵². ولكن أهل الكفر بيئتهم تعتمد على الوقعة فقاموا بجريمتهم حيث الوقعة بين الملك وبين زمرة المسلمين، بيد أن الملك الحبشي رفض تسليمهم⁵³.

إن الإسلام على يد نبيه الكريم صلى الله عليه وآله وسلم قد وضع أسساً للدبلوماسية، دبلوماسية تعتمد على رؤية حضارية راقية.

- 1 المصادقية في التعامل بصورة لا تعتمد على المداينة الكاذبة. فجعفر بن أبي طالب عرض قضيته مع الملك بأسلوب راق واضح لمس في الملك حبه للعدل.
- 2 أن الدبلوماسية الذكية الواعية تدعم نفسها بقوة الحججة والمنطق إن كان الآخرين يحترمون العدل، وإن كانوا يحترمون القوة فلا بد للمسلمين من الاتصاف بالقوة.
- 3 فجور الآخرين لا يعني سقوط القيم الإسلامية، فلا بد من نبراس يُرتجى ومرجعية نعود إليها.

التوقيت المناسب في رؤيتنا الحضارية

هناك قرارات نتخذها في حياتنا تعد الفيصل المهم في لحظة. وفي أخرى يكون القرار خاطئا... وفي سيرة النبي صلى الله عليه وآله وسلم تجارب راقية رسخت رؤية حضارية للرق ولتحقيق الهدف. فليس كل ما يحظر بيال المسلم يحققه فور مروره بخاطره... وإذا كانت في القرآن معجزة وفي أقواله صلى الله عليه وآله وسلم معجزة أخرى، فإن في سيرته أيضا معجزة تتحقق في كل موقف من مواقفه الشريفة.

يروى عمرو بن عبسة واقعة تستحق التأمل. كان عمرو يعتقد وحده بفطرته النقية أن الناس على ضلال في عبادتهم للأوثان والأصنام، وقد سمع بالرسول ودعوته، "قال عمرو بن عبسة السلمي: كنت وأنا في الجاهلية اظن ان الناس على ضلالة، وانهم ليسوا على شيء وهم يعبدون الاوثان، فسمعت برجل بمكة يخبر اخبارا، فقعدت على راحلتي فقدمت عليه، فإذا رسول الله ﷺ مستخفيا جراء عليه قومه، فتلطفت حتى دخلت عليه بمكة، فقلت له: ما انت، قال: "انا نبي"، فقلت: وما نبي؟ قال: "ارسلني الله"، فقلت: وبأي شيء ارسلك؟ قال: "ارسلني بصلة الارحام، وكسر الاوثان، وان يوحد الله لا يشرك به شيء"، قلت له: فمن معك على هذا؟ قال: "حر وعبد"، قال: "ومعه يومئذ ابو بكر، وبلال ممن آمن به"، فقلت: إني متبعك، قال: "إنك لا تستطيع ذلك يومك هذا، الا ترى حالي وحال الناس، ولكن ارجع إلى اهلك، فإذا سمعت بي قد ظهرت، فاتني"، قال: فذهبت إلى اهلي، وقدم رسول الله ﷺ المدينة وكنت في اهلي، فجعلت اتخير الاخبار واسأل الناس حين قدم المدينة حتى قدم علي نفر من اهل يثرب من اهل المدينة، فقلت: ما فعل هذا الرجل الذي قدم المدينة؟ فقالوا: الناس إليه سراء، وقد اراد قومه قتله فلم يستطيعوا ذلك، فقدمت المدينة فدخلت عليه، فقلت: يا رسول الله تعرفني؟ قال: "نعم انت الذي لقيتني بمكة"، قال: فقلت: بلى، فقلت: يا نبي الله اخبرني عما علمك الله واجهله...⁵⁴

إن من الحضارة التي تنجح اختيار التوقيت المناسب للظهور... إن اللقاء الأول لمس فيه النبي ﷺ صدق السائل، لكن القادم في المستقبل أو الحاضر لا يناسب الظهور، فلو أعلن اسلامه ربما هلك.. ولم تكن يثرب (بلد عمرو) قد تفهمت حقيقة الدعوة الإسلامية، لكن حين مرت أزمته المحنة واشتد عود الدعوة ونجح الدين الجديد... وهاجر النبي ﷺ بعد بيعة العقبة الثانية التقاه اللقاء الثاني⁵⁵.

في حضارة المسلمين الدراية والتعمق والفهم.... إن رؤية التوقيت ودراسة أحواله ومعرفة تجارب الزمن، وفهم حقيقة الأشرار من الدعوة، وحين يمين الوقت الأنسب يمكننا الظهور... لكن في تلك المدة التي ظهر فيها عمرو بأفكاره الطيبة وفطرته النقية لم يكن من المناسب أن يعلن ما يؤمن به. وفي حياتنا تجارب شخصية كثيرة هذه التجارب هي بمثابة امتحانات تنضم بعضها لبعض لتصنع الرجال الذين يحضرون الحضارة.

الحضارة وأسس الاختيار

يسميا الغرب الديمقراطية... لكن الإسلام بحضارته سبق الجميع في التمثيل النيابي، والاختيار... وسيرة النبي ﷺ بينت كيف تم هذا.. فقد قرر أهل الكفر ممثلين في قريش وحلفائها تدبير مقتل النبي ﷺ، فكان النبي يبحث عن

يحميه حتى يبلغ رسالة ربه جل شأنه فيقول: "من يؤويني؟ من ينصرني حتى أبلغ رسالة ربي، وله الجنة"؟ وكان كفار قريش يستقبلون الحجيج ويجذروهم من فتي قريش فصدوا عنه وصدوا الناس فقال جابر بن عبد الله الأنصاري حتى بعثنا الله من يشرب فأمنأ به وصدقناه وأويناه بعد ما أمنأ به⁵⁶

ورغم المجنة والتهديد بالقتل كان النبي صلى الله عليه وآله وسلم يمارس الدعوة ولا ينقطع عنها، ويستغل من يأتي للحج فيجالسهم ويخبرهم بأمر الدعوة. وأسلم بعض الأفراد في هذه الدعوة.. وكانت بداية أيضا لإسلام عدد من الأنصار حين سألهم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عن أنفسهم فعرفوه بأنهم من الخزرج فقال لهم أمن موالى يهود؟ قالوا نعم. وطلب منهم الجلوس ليستمعوا، ففعلوا وعرفوا منه الإسلام وتحدثوا بأن هذا هو النبي الذي تنتظره يهود في كتبهم المقدسة وكانوا ستة نفر آمنوا وعادوا ليشرب بالإسلام يدعون في هدوء وثبات فلم تبق دار إلا وقد عرفت بالإسلام⁵⁷.

كان هذا اللقاء الحضاري عند العقبة عبارة عن لقاء تعارف دعوى. وفي العام التالي جاء عند العقبة بعد عام من اللقاء الأول وفي موسم الحج أيضاً جاءوا اثنا عشر رجلاً، عشرة من الخزرج واثنا عشر من الأوس، مما يؤكد أن الخزرج قد ركزوا في الدعوة بينهم، ونجحوا في جذب عدد من الأوس ناب عنهم اثنان بالحضور، وكان الجامع بين الأوس والخزرج هو الإسلام الذي ألف بين القبيلتين⁵⁸.

لقاء يبين الجانب الحضاري لفته هي الصادقة الوحيدة بين أولئك الذين ملأوا الدنيا بشؤم شركهم وكفرهم في عبادة الجماد والحيوانات وتحركات الكواكب والنجوم الفكر الخرف الضال. ومع ذلك يشق النبي صلى الله عليه وآله وسلم طريقاً صعبةً بين غاية أوثان ومعتقدات دون أن يؤذي أحداً دون أن يضر أحداً..

والتقى مع الاثني عشر من يشرب مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم (وفق رواية عبادة بن الصامت) وكانت البيعة التي تظهر أي مدى بلغت الحضارة الإسلامية من الرقي واحترام الحقوق فهي وإن كانت لدى الآخرين مستحسنة فهي بالنسبة للمسلمين دين وشريعة وفرض.

وشتان بين سلوك ومبادئ عند أناس رقي، وعند آخرين عقيدة وشريعة... وتمت البيعة ويروى عبادة بن الصامت فيقول: "كنا اثني عشر رجلاً فبايعنا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم على بيعة النساء (وذلك قبل أن تفرض علينا الحرب)، على أن لا نشرك بالله ولا نسرق ولا ننزى ولا نقتل أولادنا ولا نأق ببهتان نفترية بين أيدينا وأرجلنا، ولا نعصيه في معروف، فإن وفيتم فلكم الجنة وإن غشيتم من ذلك شيئاً فأمركم إلى الله عز وجل إن شاء عذبكم وإن شاء غفر لكم⁵⁹.

حمل مصعب هذه البيعة وعاد إلى يشرب ليؤكد لهم ما سمعه من النبي وبايعوه جميعاً وزاد عدد المسلمين بيشرب. وربما حدثت مشاجرات وتربصات بمصعب ومن معه، وبالطبع سمع اليهود ما سمعوا وتربصوا وتأهبوا للحرب^{صلى الله عليه وآله وسلم}. لقد بادروا المشركين بالتحضر عليهم، وأن يهود على انتظار نبي يأتي منهم إعزازاً لهم، وهم بهذا سوف يتسودون على الكافرين وعلى جنس العرب... إنهم ينتظرون الكتاب الأخير فهم أهل نبوة "وَلَمَّا جَاءَهُمْ كِتَابٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا مِنْ قَبْلُ

يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ فَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْكَافِرِينَ⁶⁰. وتكبد مصعب، واسعد بن زرارعة مشقات في نشر الدعوة⁶¹.

كان ذلك ثمة الحضارة الإنسانية التي اتبعها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بهدوء وسكينة ونجح بنشر الدعوة بهدوء ورياسة في وقت قام الكفر ضدكم بكل الموبقات، والجانب الحضارى ربط أهيار المجتمعات التشريعية.. أولاً صيانة التوحيد فهو المرجعية الأولى والأخيرة (الله) جل شأنه ثم طلب منهم في البيعة عدم السرقة وعدم الزنا، ومنع قتل الأولاد مهما كان الفقر، وتحريم البهتان والتهم والتصدي لأي معروف، فمنع المعروف جريمة نهايتها أهيار الأمر والدول⁶².

وجاء اللقاء الأخير... فقد انتشر الإسلام في ديار يثرب ولذلك جاء العدد أزيد حيث بلغوا اثنتي وسبعون رجلاً و امراتان.. وجاء النبي ﷺ بصحبة أبي بكر والعباس وعلى راقب ابوبكر طريقاً، وعلى طريقاً وجلس النبي ﷺ معه العباس⁶³ أسس الاختيار والانتخاب

سألهم النبي صلى الله عليه وآله وسلم كم عدد القبائل الممثلة في هذا العدد (72) فقالوا: اثني عشر قبيلة وعائلة فقال إذا نريد ممثلاً لكل فئة منكم ترضونه فاخترنا اثني عشر مندوباً أو نقيباً ليمثلوا فئات مدينة يثرب، لقد كوّن النبي صلى الله عليه وآله وسلم برلماناً في وقت وجيز، وقابلهم ومعه العباس وكان يؤمئذ على الكفر لكنه أراد أن يطمئن على مستقبل ابن أخيه... ثم تكلم وقد يثرب وبينوا كل السلبات والمخاوف ثم تناقش النبي صلى الله عليه وآله وسلم معهم في هذه الأمور وبث في قلوبهم الطمأنينة وتم أرقى بيعة لنصرة الإسلام⁶⁴.

وهنا يسجل التاريخ أرقى حضارة ويدون أكمل معلم في سبيل الخير... اتفاقية كتبت بحروف من القلب الصادق. ويسجل التاريخ كيف تكون (الديمقراطية) كما يسميها الغرب... كيف تتكون المؤسسات بالاختيار الحر دون تزوير، و دون تدخل من الكبار... وكيف يكون نقيب المجموعة مبلغاً أميناً عليهم... ما عرف الغرب ولا حضارته هذه الديمقراطية من قبل... ما عرفوها بوجه من التطبيق الأمين الحر... إلا بعد ما عرفوها بهذا الأسلوب من النبي صلى الله عليه وآله وسلم.

إن معالم الحضارة التي تقوم الدول وتقيمها وتبني الشعوب وتدعم كلمتها طالما تحلت بها الحضارة الإسلامية وزخرت بها كتب السيرة ومصادرهما. واطهارها اليوم من الأهمية بمكان فلعل الآخرين يدركون أن حضارة الإسلام أرقى... وتبقى معالم أخرى في الفترة المدنية، ولهذا بحث آخر. والله ولي التوفيق.

الهوامش

1. ول ديورانت، قصة الحضارة، ترجمة زكي نجيب محمود وآخرين، طبعة بيروت، 1987، ج 1، ص 3.
2. انظر: فرنان، برودل، الحضارة المادية والاقتصادية والرأسمالية، ترجمة..... ماهر المركز القومي للترجمة، القاهرة 2008م، ج 1 ص 37
3. انظر: دمحمدم عمارة، فقه الحضارة الإسلامية، مكتبة الشروق الدولية، القاهرة 2008م، ص 16 وما بعدها.

4. هود 61.
5. المائدة 64.
6. البقرة 205.
7. البقرة 60.
8. الأعراف 56.
9. المائدة 33.
10. صحيح البخاري، الطاف ايندسنز كراتشي باكستان، ط الأولى، س: 2008م، ج 4، كتاب الطب «باب الدواء بأبوال الإبل برقم 5686 ص: 1617 وباب من خرج من أرض لا تلايمه، برقم 5727 ص: 1625.
11. محمد الغزالي، فقه السيرة، طبعة دار الدعوة بالاسكندرية 1980، ص 191.
12. انظر البخاري، الطاف ايندسنز كراتشي باكستان، ط الأولى، س: 2008م، ج 2، كتاب مناقب الأنصار «باب هجرة النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه إلى المدينة برقم 3906 ص: 1057 وما بعدها. ومحمد الغزالي - فقه السيرة - ص 191، 192.
13. رواه أحمد (12512) واللفظ له، والبخاري في الأدب المفرد (168/1)، قال شعيب الأرنؤوط وآخرون: إسناده صحيح على شرط مسلم، انظر مسند الإمام أحمد بن حنبل (296/20) المحقق: شعيب الأرنؤوط وعادل مرشد وآخرون، إشراف: د عبد الله بن عبد المحسن التركي، مؤسسة الرسالة، ط الأولى (1421هـ 2001م).
14. انظر البخاري، الطاف ايندسنز كراتشي باكستان، ط الأولى، س: 2008م، ج 2، كتاب المزارعة باب فضل الزرع والغرس إذا أكل منه، برقم 2320 ص: 615.
15. العلق 51.
16. انظر البخاري، مطبعة الطاف ايندسنز كراتشي باكستان، ط الأولى، س: 2008م، ج 1، كتاب بدء الوحي، باب كيف كان بدء الوحي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم برقم 3 ص: 2، 3.
17. انظر وراجع: د. محمد عمارة، الاستقلال الحضاري، طبعة دار نهضة مصر، 2008، ص 18 وما بعدها.
18. آل عمران 190، 191.
19. أخرجه ابن حبان.
20. انظر: د. ضياء الدين العمري، صحيح السيرة النبوية، مؤسسة الرسالة 2006، ج 2 ص 261.
21. منير الغضبان، التربية القيادية، طبعة دار الوفاء، المنصورة 1418 هـ، 1998م، ج 3 ص 74.
22. سنن ابن ماجه عن أنس برقم 224، مطبوعه آفتاب عالم پريس، 13 هسپتال روڈ لاہور، س 1984 م باب فضل العلماء والحث على طلب العلم، ص 20، ورواه البيهقي وصححه الألباني.
23. نفس المرجع والصفحة.
24. نفس المرجع والصفحة.

25. تحفة المنعم اردو شرح صحيح مسلم ، فضل محمد يوسف زئي، مكتبة ايمان . ويقين علامه بنوري ثاوت كراتشي باكستان ، ط: 1، س 2013م، كتاب الإيمان "باب بدء الوحي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم" ج 1، ص 583.
26. وأخرجه الحاكم وصححه الألباني.
27. كال ماركس 1818 1882 الماني اقتصادي ومؤرخ وكاتب ينتهي إلى فكره المبادئ الشيوعية . من الملحدين وأشهر كتبه "رأس المال" . راجع: د حسين مؤنس . التاريخ والمؤرخون . فلسفة التاريخ ، مع عالم الفكر ، مع 5 ، الكويت 1974 .
- 28 . ميكافيلي : 1469 – 1527 م فيلسوف إيطالي صاحب كتاب الأمر ، وشعاره: "الغاية تبرر الوسيلة" . لا يمانع الدم من أجل الوصول للهدف وكل السبل مشروعة حتى لو محرمة ... انظر: كمال مظهر أحمد . الموسوعة الصغيرة – بغداد 1984 .
- 29 . انظر أحمد المنيأوي ، نابليون بونابرت ، امبراطور الحرب ، بيروت 1989 ، ص 16 ، 28 ، 80 .
- 30 . انظر: ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ، طبعة دمشق 1981م ، ج 2 ، ص 27 . نقلاً عن موقع <https://al-maktaba.org/book/30929/21> بتاريخ 2022/9/11
- 31 . عمر احمد عمر ، رسالة الأنبياء ، دار الحكمة ، دمشق 1997 ، ج 3 ، ص 27 .
- 32 . انظر: محمد ابو فارس ، السيرة النبوية ، دراسة تحليلية ، دار الفرقان عمان ط 1 ، 1418 هـ / 1997 – ص 122 .
- 33 . محمد الغزالي ، فقه السيرة ، ص 75 .
- 34 . راجع ابن تيمية ، الفتاوى ، دمشق 2001 / 732 .
- 35 . راجع محمد الغزالي ، الفساد السياسي في المجتمعات العربية والإسلامية ، دار هفصة مصر 2018 – ص 101 ، 102 .
- 36 . German History in Document sand imoges Except Form Bismark,s Blood And Iron speech 1962 .
نسخة محفوظة ، 24 سبتمبر 2020م .
- 37 . القصص آية 8 .
- 38 . الأنفال آية 63 .
- 39 . انظر: ابوشهبة ، السيرة النبوية ، القاهرة 1980 ، ج 1 ص 284 .
- 40 . ابن هشام ، سيرة ابن هشام ، القاهرة 1984 ، ج 1 ص 381 .
- 41 . راجع محمد الصادق عرجون ، محمد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، القاهرة 1988 ، ج 1 ص 33 .
- 42 . انظر البخاري ، مطبعة الطاف ايندسنز كراتشي باكستان ، ط الأولى ، س: 2008م ، ج 2 ، كتاب فضائل أصحاب النبي الله صلى الله عليه وسلم باب مناقب بلال رضي الله عنه برقم 3754 ص: 1018 . و راجع ابن هشام ، سيرة ابن هشام ترجمه مولانا عبد الجليل صديقي ، نظر ثاني و تهذيب مولانا غلام رسول مهر شيخ غلام علي ايندسنز ، پرينتر ، پبليشر لاهور ، اشاعت سومر ، س 1975م ، ج 1 ، ص 350 .
- 43 . نفس المرجع ، ج 1 ص 226 .
- 44 . راجع ، د . كامل سلامة الدقس ، دولة الرسول من التكوين إلى التمكين ، دار عمار ، عمان الأردن 1994 م ، ص 225 .
- 45 . الردع 11 .

46. انظر: توفيق محمد سبع، نفس ودروس في إطار التصوير القرآني، طبعة مجمع البحوث الإسلامية بالقاهرة، ب. ت، ص 367.
47. عن مقتل ياسر وسمية أنظر: سيرة ابن هشام ترجمه مولانا عبد الجليل صديقي، نظر ثاني و تهذيب مولانا غلام رسول مهر شيخ غلام علي ايندسنز، پرينتر، پبليشر لاهور، اشاعت سوم، س 1975 م، ج 1، ص 352.
48. رواه الحاكم (357/2) والبيهقي (208/8، 209). قال الحاكم: صحيح الإسناد ولم يخرجاه ووافقه الذهبي. وقال ابن كثير في ((إرشاد الفقيه)) (2/295): إسناده صحيح وزاد بعضهم وفي هذا أنزلت: من كفر بالله من بعد إيمانه .. الآية. وقال ابن حجر في ((الدرية)) (2/197): إسناده صحيح إن كان محمد بن عمار سمعه من أبيه. وقال الألباني في ((فقه السيرة)) (103): في ثبوت هذا السياق نظر وعلته الإرسال. نقلاً عن موقع <https://al-maktaba.org/book/32480/2849> بتاريخ 2022/11/11.
49. النحل 106
50. أخرجه السنن الكبير للبيهقي كتاب السير باب الإذن بالهجرة حديث رقم 16246. نقلاً عن موقع https://islamarchive.cc/H_599345 بتاريخ 2022/11/11.
51. عن دخول الإسلام الحبشة أنظر: المقرئ، الإمام بأخبار من بأرض الحبشة من ملوك الإسلام 1890 م (صورة أصلية)، ص 53.
52. انظر: د. السيد علي خضر، الحوار في السيرة النبوية، رابطة العالم الإسلامي، المركز العالمي للتعريف بالرسول ونصرتة، 2017، ص 26 وما بعدها.
53. ابن هشام، السيرة، ج 1، ص 356.
54. راجع مسلم برقم 1967 تحفة المنعم اردو شرح صحيح مسلم، فضل محمد يوسف زئي، مكتبة ايمان، ويقين علامه بنوري تاوري كراتشي باكستان، ط: 1، س 2013 م، كتاب فضائل القرآن، باب إسلام عمرو بن عبسة رضی اللہ عنہ، ج 3، ص 307، 308.
55. عن بيعة العقبة الأولى والثانية انظر: البخاري برقم 2، 36، ومسلم برقم 3437، 3971، والسلسلة الصحيحة - للألباني ص 63، ومحمد مسعد ياقوت، السيرة النبوية، ط دار السلام القاهرة 2010، ص 197 وما بعدها.
56. أنظر: مسند الإمام احمد، ج 3 ص 322، 332 بشرط صحيح مسلم.
57. انظر ابن كثير، البداية والنهاية، طبعة دمشق 1980، ج 3 ص 148، 149.
58. ضياء الدين العمري، السيرة النبوية، ج 1 ص 197.
59. مسند أحمد برقم 22754. وهو حديث صحيح، وكذا مسلم.
60. البقرة 89
61. انظر أبو شهبة، السيرة النبوية، ج 1 ص 442
62. عن أسباب سقوط الدول أنظر: محمد العبدية، قيام الدول وسقوطها، طبعة دار الصفوة 2001، ص 132 وما بعدها
63. ابن هشام، السيرة النبوية، ج 1 ص 441، وراجع أيضا ابن ماجه برقم 186 وصححه الألباني
64. ابن هشام، سيرة ابن هشام ترجمه مولانا عبد الجليل صديقي، نظر ثاني و تهذيب مولانا غلام رسول مهر شيخ غلام علي ايندسنز، پرينتر، پبليشر لاهور، اشاعت سوم، س 1975 م، ج 1، ص 504 وما بعدها.